

الحرب العالمية الأولى(1914-1918)

(الظروف، الأسباب، المراحل و الجبهات)

مقدمة

أخذت العلاقات بين القوى الأوروبية البارزة منذ أوائل القرن العشرين تتجه نحو التصعيد، بسبب تباين المصالح و الأهداف، جراء التنافس الإستعماري، و الروح القومية المتأججة لدى الشعوب المغلوب على أمرها، ما تسبب حتميا في بروز أزمات دولية خطيرة، ساهمت بدورها في تشكل تكتلات و أحلاف عسكرية عمقت من انتشار الحقد و الكراهية بين دول أوروبا، و تخوفها من بعضها البعض، الأمر الذي دفعها إلى الإلتخاذ الاحتياطات اللازمة للمواجهة العسكرية، فمهد ذلك لاندلاع الحرب بينها ما لبثت أن تطورت و أصبحت عالمية بدخول دول غير أوروبية فيها. فما هي أسبابها و خلفياتها الحقيقية؟ و مظاهر عالميتها؟ و الإنعكاسات التي تركتها؟

1-واقع العلاقات الدولية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى:

أ-اشتداد التيار الإستعماري:

ازدادت حدة الصراع و التنافس بين الدول الأوروبية في نهاية القرن 19م و بداية القرن 20م بحثا عن المواد الخام الأولية، و الأسواق التجارية، و تحقيق أمجادها القومية، والتخلص من مشاكلها الاجتماعية و السياسية، وقد ساعدها على ذلك تقدمها العلمي و الفكري و الصناعي و قوتها العسكرية البحرية و البرية .

و كانت مقررات مؤتمر برلين الثاني(1883/1884) قد دشنت موجة التكالب الاستعماري الأوروبي على القارة الإفريقية ، فاندفعت بريطانيا بعد المؤتمر تشق طريقها نحو التوسع ، حيث قامت خلال شهر جوان سنة 1885 بإنشاء محمية لها في ساحل النيجر، و في المنطقة الواقعة بين لاجوس و الكامرون، و فرضت حمايتها على كينيا سنة 1884 و أوغندا عام 1885، و شنت حربا ضد سكان البوير بجنوب إفريقيا خلال العقد الأخير من القرن 19م لفرض سيطرتها على هذا البلد و استغلال ثرواته المنجمية، كما أخضعت خلال هذه الفترة لنفوذها كل من زنجبار ، كينيا، أوغندا، روديسيا الشمالية، و بتشوانا لاند. ونجحت سنة 1898 في احتلال السودان. هذا، و سبق لبريطانيا و أن احتلت مصر سنة 1882، و تطلعت لاحتلال العراق و فلسطين لحماية مصالحها بالخليج العربي

فرنسا هي الأخرى تمكنت من إنشاء مستعمرات لها في هذه القارة، فبعدما تمكنت من احتلال الجزائر 1830 ثم تونس 1881، وتمكنت في سنة 1886 من فرض حمايتها على مدغشقر، واستمرت في التوسع على حساب مناطق شاسعة ممتدة بين حوض نهري الفولتا العليا و النيجر، و في حوض نهر السنغال بغرب إفريقيا. و طمحت أيضا في بسط نفوذها على أملاك الدولة العثمانية في المشرق العربي (سوريا و لبنان) خلال الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي جعلها تدخل في منافسة شديدة مع الانجليز

و في سنة 1893 امتد نفوذ فرنسا إلى تمبكتو، و أثمرت جهودها التوسعية خلال هذه السنة عن تأسيس مستعمرات لها في ساحل العاج، و فرضت احتلالها بالقوة على الداومي سنة 1900، و أخضعت أيضا المغرب الأقصى لحمايتها عام 1912

و بدورها ألمانيا تشجعت على التوسع، حيث تمكنت خلال فترة (1884-1900) من بسط نفوذها و سيطرتها على مناطق هامة من إفريقيا قدرت مساحتها بحوالي مليون ميل مربع، شملت: توجولاند في غرب إفريقيا، و الكامبيرون، و شرق إفريقيا (تنجانيقا)، و ناميبيا بجنوب غرب إفريقيا.

و تطلعت إيطاليا هي الأخرى بعدما حققت وحدتها القومية سنة 1871 للتوسع في القارة الإفريقية خلال العقدين الآخرين من القرن ق 19م، حيث أبانت عن أطماعها الإستعمارية في تونس مما جعلها تدخل في منافسة حادة مع فرنسا، و في هذا السياق اهتمت بالحبشة و باقي بلدان القرن الإفريقي الأخرى (الصومال، إريتريا)، و نجحت في 1911 من احتلال ليبيا .

و لم تبق بلجيكا في منأى عن التوسع الإستعماري، بحيث تمكنت بموجب قرارات مؤتمر برلين الثاني من فرض سيطرتها على الكونغو، (دولة الكونغو الحرة)، التي أصبحت مستعمرة بلجيكية بدية من سنة 1908.

و دخلت بقية الدول الأوروبية الأخرى مجال التوسع و التنافس الإستعماريين على غرار إسبانيا و البرتغال، حيث تمكنتا من إنشاء مستعمرات لها في إفريقيا مع نهاية القرن 19م و بداية القرن 20م.

كما كشفت روسيا عن أطماعها التوسعية على حساب أملاك الدولة العثمانية في البلقان (جنوب شرق أوروبا)، لاسيما في المضائق التركية (البوسفور و الدردنيل)، و اسطنبول. و نجد نفس الأطماع لدى النمسا، التي رغبة هي الأخرى في إيجاد نفوذ لها في هذه المنطقة، بعدما فقدت سيطرتها العسكرية على الولايات الإيطالية والألمانية إثر تحقيق وحدتهما القوميتين، لذلك لم

تتوان في ضم البوسنة و الهرسك إليها سنة 1908، مما جعل الصربيون ينقمون و يسخطون عليها لطموحاتهم القومية في ضم جميع العناصر السلافية بالبلقان تجسيدا لمشروعهم((دولة صربيا الكبرى) ،الأمر الذي زاد من حدة التوتر في العلاقات بين الطرفين خاصة ،و بين القوى الأوروبية العظمى عامة بسبب التحالفات التي كانت قائمة بينها.

ب-التحالفات الدولية:

1-التحالف الثلاثي:

بعدما حققت ألمانيا وحدتها القومية سنة 1871،أصبحت تخشى من عودة الخطر الفرنسي إلى أراضيها ،خاصة و أنه سبق لها و أن هزمت فرنسا و أذلتها في حرب 1870 و استولت على منطقتي الألزاس و اللورين(اللتان تعتبرانهما فرنسا جزءا من ترابها) ،و لمواجهة هذه الظروف،حاول مسشارها بسمارك التقرب من النمسا و روسيا و عقد معهما إتفاقا وديا(حلف عصابة الأباطرة الثلاث) سنة 1872،لكن سرعانما انسحبت منه روسيا بسبب وقوف ألمانيا مع النمسا و الدولة العثمانية في تنافسهما وصراعهما مع هذه الأخيرة(روسيا) حول منطقة البلقان.

و في سنة 1882 انضمت إيطاليا إلى تحالف ألمانيا و النمسا الذي أصبح يعرف بالتحالف الثلاثي ،ومع إندلاع الحرب العالمية الأولى تعزز هذا التحالف بانضمام إليه كل من الدولة العثمانية و بلغاريا (أصبح يعرف بحلف دول الوسط) ،و بالمقابل انسحبت منه إيطاليا و التحقت بدول الوفاق الثلاثي(الحلفاء) في سنة 1915

2-الوفاق الثلاثي:

في ظل تزايد توتر علاقة روسيا بألمانيا بسبب وقوف هذه الأخيرة مع النمسا ضد روسيا جراء التنافس الذي اشتد بينهما حول منطقة البلقان،دفع بروسيا إلى عقد تحالف سياسي مع فرنسا سنة 1891، و تحالف عسكري آخر معها سنة 1893 لمواجهة دول الحلف الثلاثي في حالة استهدافهما عسكريا.

و في 8 أفريل 1904 تم عقد الاتفاق الودي بين فرنسا و بريطانيا،تضمن اعتراف هذه الأخيرة بمصالح فرنسا وإسبانيا(الريف) في المغرب الأقصى ،مقابل إعتراف فرنسا بالنفوذ البريطاني في مصر

و في سنة 1907 تمكنت فرنسا من إيجاد تقارب بين روسيا و بريطانيا،بحيث دفعت بالدولتين إلى إبرام اتفاق ودي بينهما في 30 أوت من نفس السنة و هذا بعد نجاحهما في الوصول إلى تسوية خلافتهما حول إيران(تقاسم النفوذ بينهما) ،ليتقوى بذلك تحالف دول

الوفاق الثلاثي(فرنسا، بريطانيا، روسيا) عشية إندلاع الحرب وأثناءها، خاصة بعدما التحقت به كل من إيطاليا 1915، و الولايات المتحدة الأمريكية 1917 .

ج-الأزمات الدولية:

1-أزمة ضم البوسنة و الهرسك1908:

كانت هاتان الولايتان تابعتين اسميا للسيادة العثمانية، ثم اخضعتا إداريا بموجب مقررات مؤتمر برلين 1878 للإمبراطورية الثنائية النمساوية المجرية، و كثيرا ما كشفت النمسا عن أطماعها في ضم هاتين الولايتين للحيلولة دون تحقيق استقلالهما عنها ، حفاظا على أمن و سلامة إمبراطوريتها التي ضمت العديد من القوميات.

و من جهة أخرى كانت مملكة صربيا الحديثة تتطلع إلى ضم الشعوب السلافية-المنتشرة في شتى أنحاء الإمبراطورية النمساوية المجرية- ضمن دولة واحدة(دولة صربيا الكبرى) ، و لتجسيد هذا المشروع. عملت على إثارة دعاية"الجامعة السلافية" لتأجيج الوعي الثوري القومي لدى هذه الشعوب.

و لما قامت جمعية الاتحاد و الترقى التركية بالثورة على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة1908 و نجح الاتحاديون في السيطرة على الحكم ،استغلت النمسا هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية و تشجعت على ضم البوسنة و الهرسك، فوجهت بذلك ضربة قاضية ليس للأتراك العثمانيين فحسب بل لطموحات مملكة صربيا في ضم هاتين الولايتين، فتوترت بذلك العلاقة بين الطرفين، و أثرت أيضا على باقي القوى الأوروبية، خاصة روسيا(المتعاطفة مع صربيا، لأنهما كلاهما ينتميان للعنصر السلافي) التي لم تستطع توقيف النمسا عن حدها، بعدما امتنعت دول الوفاق الثلاثي عن مناصرتها و دعمها، سيما و أن بريطانيا لم تكن راضية على تحقيق روسيا أطماعها في السيطرة المضائق البحرية(البوسفور و الدردنيل) و من ثمة الوصول إلى المياه الدافئة، خشية من تهديد مصالحها في حوض البحر الأبيض المتوسط. ساهمت هذه الأزمة في تهيئة الأرضية للتعجيل بإندلاع الحرب العالمية الأولى.

2-أزمة أغادير1911:

تندرج هذه الأزمة ضمن التنافس الاستعماري الفرنسي الألماني على المغرب الأقصى(مراكش) منذ 1905، وازدادت شدته بشكل خطير إثر إقدام فرنسا في سنة 1911 على إرسال قواتها العسكرية إلى المنطقة و احتلالها لمدينة فاس، مما أثار غضب ألمانيا التي كانت تحوز على مصالح اقتصادية حيوية بهذا البلد، لذلك لم تتوان هذه الأخيرة في التهديد باستعمال القوة العسكرية ضد فرنسا ،معبرة عن رفضها الإحتلال الفرنسي للمغرب، وقامت

بإرسال سفينة حربية ألمانية إلى الميناء الحيوي المغربي في نفس السنة و هددت باحتلاله، وأصبح العالم بذلك على وشك اندلاع حرب حقيقية بين الدولتين ،خاصة بعدما صرحت بريطانيا بأنها سوف لن تقف على الحياد في حالة نشوب الحرب بين فرنسا و ألمانيا.

و تم في الأخير حل هذه الأزمة بعدما تعهدت فرنسا بموجب اتفاقية 4 نوفمبر 1911 بمنح القسم الداخلي من الكونغو المستعمرة الفرنسية(الواقعة بين الكامرون و الكونغو البلجيكي) ،و جزء هام آخر من مستعمراتها بغينيا الإسبانية،مقابل إطلاق يد الحرية لفرنسا في المغرب الذي أخضعته لحمايتها في سنة 1912.

و من جهة أخرى انتهزت إيطاليا هذه الظروف و تشجعت على احتلال طرابلس الغرب و برقة الليبيتين في نفس السنة،و دخلت في حرب مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة على ليبيا ،انتهت في سنة 1912 باعتراف هذه الأخيرة بالاحتلال الإيطالي لليبيا بموجب معاهدة أوشي الموقعة بينهما في أكتوبر من نفس السنة، تحت ضغط قيام دول البلقان بتشكيل حلف عصابة البلقان(اليونان،صربيا، بلغاريا،) و إعلان الحرب على الوجود العثماني بالمنطقة،الأمر الذي شجع إيطاليا مرة أخرى على احتلالها جزر الدوديكانيز ببحر إيجه بالبحر المتوسط التي كانت ضمن دائرة النفوذ العثماني.

3-حروب البلقان(1912،1913):

أمام استمرار تراجع الدولة العثمانية و تدهور أوضاعها الداخلية،تشجعت دول البلقان(اليونان،صربيا و بلغاريا) على تصفية الوجود العثماني بمقدونيا و اقتسامها فيما بينها،سيما و أنها كانت تضم عناصر يونانية و بلغارية و صربية،و كثيرا ما لعبت صحافة هذه الدول دورها في تأجيج الوعي القومي الثوري لدى هذه العناصر، مستغلة الاحتجاجات التي كانت تعرفها المنطقة منذ 1910 ضد نظام الاتحاد و الترقّي التركي،إضافة إلى الدعاية الروسية التي أدت دورها المضاد للنفوذ العثماني في البلقان .

بعدما تمكنت دول البلقان من عقد تحالف فيما بينها(عصابة دول البلقان) سنة1912 تبعا للمعاهدة الصربية البلغارية الموقعة بتاريخ 13 مارس 1912، و المعاهدة اليونانية البلغارية المبرمة في 29مايو 1912 أعلنت الحرب على الدولة العثمانية في 17 أكتوبر 1912، مستغلة انشغال هذه الأخيرة بحربها ضد إيطاليا بطرابلس الغرب،التي أنهكتها ماديا و بشريا، فكان ذلك عاملا مساعدا للدول البلقانية على تحرير مقدونيا خلال ثلاثة أسابيع،و دفع بالأتراك العثمانيين إلى طلب الهدنة في 3 ديسمبر 1912 ،بعدما هددت الإستانة من قبل الجيش البلغاري،وتوجت في الأخير بالتوقيع على شروط الصلح بلندن في 30 ماي 1912، تخلت بموجبه الدولة العثمانية عن نفوذها لأعدائها في مقدونيا.

احتجت بلغاريا بشدة على ما آلت إليه الأوضاع إثر انتهاء الحرب، بحيث لم يكن تقسيم مقدونيا في صالحها مقارنة مع ما أخذته كل من صربيا و اليونان من مناطق هامة ضمت قوميات يونانية و صربية و بلغارية، لذلك هاجمت بلغاريا مقدونيا مجددا لبسط سيطرتها عليها، و هو ما دفع بصربيا و حليفها اليونان إلى إعلان الحرب عليها، و من ثمة بدأت الحرب البلقانية الثانية في 25 جوان 1913 ، و استغلت رومانيا الفرصة و دخلت الحرب ضد بلغاريا، الأمر الذي دفع ببلغاريا إلى طلب الصلح ، و عقد معاهدة بوخاريسست 10 أوت 1913 التي كرست تقسيم مقدونيا بين صربيا و اليونان، بينما لم تحصل بلغاريا إلا على نسبة محدودة من الأراضي، بل أجبرت على التنازل عن منطقة سيلبستريا لرومانيا و أجبرت على إعادة ترك أدرنة لتركيا

ساهمت الحرب البلقانية في تصفية الوجود العثماني في المنطقة، و تأجيج الوعي القومي للشعوب السلافية البلقانية، و توسع دولة صربيا و تشجعها على لم شمل العناصر السلافية، لا سيما المتواجدة في الإمبراطورية النمساوية المجرية في دولة واحدة (دولة الصرب الكبرى). كما أثرت هذه الحرب في زيادة التقارب بين دول الوفاق الثلاثي هذا من جهة، و توتر العلاقات بين شعوب البلقان و النمسا من جهة أخرى، و ساهمت أيضا في اشتداد السباق نحو التسلح بين الدول الأوروبية المتصارعة و الذي من مظاهره الاهتمام بزيادة عدد القوات المسلحة و إقرار مبدأ الخدمة العسكرية الإجبارية، و الإهتمام بصناعة السفن الحربية، إضافة إلى إلى الدور الخطير الذي أدته الصحافة في تغذية الكراهية بين الدول الأوروبية المتنافسة، الأمر الذي هيا الأرضية لاندلاع الحرب العالمية الأولى.

د-حادثة سراييفو 1914/6/28 و تداعياتها على العلاقات الأوروبية الأوروبية:

قام في هذا التاريخ الطالب الصربي (جافريلو برنسيب) المنتمي للجمعية السرية الصربية (اليد السوداء)، (التي كانت تؤمن بأن البوسنة جزءا من صربيا) باغتيال وريث عرش النمسا-المجر الأرشيديوق فرانز فرديناند و زوجته في مدينة سيرايفو (بالبوسنة) أثناء قيامهما بزيارة إلى المنطقة للإشراف على مناورات الجيش النمساوي.

لم تتردد النمسا في تحميل صربيا مسؤولية الحادثة و وجهت لها إنذارا في 23 جويلية 1914، طالبتها بقبول إجراء تحقيق من طرف النمسا داخل أراضيها- صربيا- بهدف الكشف عن العناصر التي كانت وراء الحادثة ، و مما تضمنه الإنذار أيضا: ((حل الجمعيات الوطنية، ومنع أية دعاية مكتوبة أو مذاعة سواء في الصحافة أو المدارس و إبعاد الموظفين الذين أعلنوا كراهيتهم للملكة الثنائية (النمسا و المجر) إلى غير هذا من الأمور التي تكاد تفقد الصرب استقلالها)) .

وافقت صربيا على بعض المطالب و رفضت بعض الآخر،مما دفع بالنمسا و المجر إلى إعلان الحرب عليها و مهاجمتها في 28 جويلية،الأمر الذي جعل روسيا تقدم في 31 جويلية على إعلان التعبئة العامة دفاعا عن صربيا و مصالحها في البلقان.

وبدورها ألمانيا وقفت إلى جانب حليفها النمسا و أعلنت الحرب على روسيا في 1 أوت، بعدما رفضت هذه الأخيرة وقف التعبئة العامة،ثم قامت ألمانيا مرة أخرى بإعلان الحرب على فرنسا في 3 أوت،و تمكنت قواتها من غزو بلجيكا في 4 أوت، فدفع بذلك بريطانيا إلى إعلان الحرب على ألمانيا.

لم تلبث الحرب أن اتسع نطاقها في القارة الأوروبية ثم أصبحت عالمية، بدخولها عدة دول، على رأسها تركيا التي انضمت إلى دول الوسط في نوفمبر 1914،(دفاعا عن كيائها المهدد من دول الوفاق لاسيما روسيا)، و تبعتها بلغاريا في سنة 1915 ، مدفوعة بعامل الرغبة في تحرير بلادها من نفوذ روسيا، و جمع شمل العنصر البلغاري في البلقان تحت رايتها.و من جهة أخرى انضمت كل من اليابان و الصين إلى دول الوفاق و أعلنتا الحرب على ألمانيا في أوت 1914 بالنسبة للأولى ،و في أوت 1917 بالنسبة للثانية،بهدف الاستيلاء على أملاك ألمانيا في الشرق الأقصى.

انضمت إيطاليا إلى دول الوفاق في سنة 1915 بموجب معاهدة لندن السرية المبرمة بين الطرفين بتاريخ 26 أبريل 1915،حيث تلقت(إيطاليا) وعودا من الحلفاء لتحقيق أطماعها التوسعية على حساب الإمبراطورية الثنائية النمساوية المجرية و ذلك بضمها إقليم الترنطينو الذي يسكنه إيطاليون و إقليم تريستا و أستريا ،و أجزاء من ساحل دلماشيا بالبحر المتوسط. و تبعت إيطاليا كل من اليونان و رومانيا في نفس السنة بهدف تحقيق أطماعهما التوسعية على حساب النفوذ النمساوي المجري و العثماني في البلقان، و أخيرا الولايات المتحدة الأمريكية التي دخلت الحرب سنة 1917 جراء تعرض مصالحها للخطر الألماني في أوروبا ((أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد لزمت الحياد في بادئ الأمر و لكنها أخذت تتجه تدريجيا نحو الحرب ،نظرا لصلة الدم التي تربطها بانجلترا، و الديون العظيمة التي كانت لها عند الحلفاء و مركزها الإقتصادي في العالم، ذلك المركز الذي كان يجعل انتصار ألمانيا إفلاسا لها و خطرا عظيما عليها،فلما خرجت روسيا من الحرب إثر الثورة،و نجحت الغواصات الألمانية في أوائل سنة 1917 بعض النجاح أصبح لا مناص من دخول أمريكا الحرب لاسيما و قد تهيأ لها الرأي العام بتأثير دعوة الحلفاء عن الفضائح التي ارتكبتها

الألمان في بلجيكا و فرنسا و بتأثير النزاع الذي نشب بين ألمانيا و أمريكا على المسائل
البحرية و غيرها...))